

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

اثر وسائل الاعلام في ترسيخ العقيدة الاسلامية وتقويم السلوك

الدكتور : راشد راجح الشريف

الرياض

1406 هـ - 1986 م

الفصل الثالث

أثر وسائل الاعلام في ترسيخ العقيدة الاسلامية وتقويم السلوك★

مقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد الهادي الى الصراط المستقيم وعلى آله وصحبه الغر الميامين.

يقول الله تعالى **(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)**.

إن الحديث في هذا الموضوع - في رأيي - يبنى على الحس والواقع الملموس أكثر من البحث في بطون الكتب، وأمهات المراجع، وذلك لحداثته من جهة، ولشح المصادر والمراجع في هذا الحقل من جهة أخرى.

على أن كثيرا مما كتب يمكن الوصول اليه بشيء من التأمل والتخيل والتصور. إذ معظمه يدور حول نقاط متوقعة. والذي أعتقده أن ترسيخ العقيدة الاسلامية يقوم على عرضها الصحيح بأليق أسلوب، وتقويم السلوك وتحسين الأخلاق يقومان على القدوة الحسنة، والتنفير من السلوك المنحرف، واظهاره في أقبح صورة، والتحبيب بالسلوك السليم المعتدل وتجليته في أجمل صورة وبأروع بيان، مع حسن العرض وجلاء الصورة. وأهم ما تملكه الأمم والشعوب وأغلى ما تعتز به وتستشهد من أجله هو العقيدة والمحافظة على الأخلاق والمبادىء الحميدة والمثل النبيلة. وأي خدش فيها يعتبر خدشا في عزتها وكرامتها وامتهانا لسيادتها، والنيل من تراثها وهيبتها وأصالتها !! وديننا الحنيف - ولله الحمد - قد جاء مكملا لما سبق من

★ اعداد : د **راشد راجح الشريف** - مدير جامعة أم القرى - مكة المكرمة.

الأديان (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) وقد جاء بالهدى ودين الحق. ودخل الناس في دين الله أفواجا واعتنقوا عقيدته الصافية، وتحلوا بأخلاقه الكريمة حتى أصبحوا بذلك خير أمة أخرجت للناس (**كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله**) هذه الآية الكريمة لخصت رسالة هذه الأمة المحمدية المصطفاة.

فالحرص على هذا التراث الاسلامي العظيم لا مساومة فيه، ولا يمكن لأي مسلم صادق الاسلام أن يفرط فيه.

العقيدة الاسلامية في مواجهة التيارات الفكرية الواردة :

وكلنا يعلم أهمية العقيدة ورسوخها، وأثر ذلك في استقرار النفس البشرية وأمنها وأمانها. وأن الشخص الذي تزعزعت عقيدته وأصبح نهبا للتيارات الفكرية المستوردة يعيش حياة بائسة يكتنفها القلق، ويحيط بها الاضطراب، والتذبذب. والعقيدة الاسلامية بصفائها النقي ووضوحها الجلي، إذا رسخت في قلب الشخص شعر بالراحة التامة والطمأنينة الحقة، وعاش حياة ترفرف عليها السعادة ويحيط بها جو روحاني لا مثيل له.

والسلوك القويم والخلق الحسن ثمرة من ثمار تلك العقيدة وأثر واضح من آثار التربية السليمة والبيئة الصالحة.

(مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ..). وجاء في الأثر (**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**).

مسؤولية وسائل الاعلام تجاه المجتمع :

وكل هذا أو ذاك تحله وسائل الاعلام - أو ينبغي أن تحله وسائل الاعلام المقام الجدير به من العناية والرعاية والاهتمام. بل هي

أقوى الوسائل وأوسعها نطاقا، وأقدرها على تنفيذه بأيسر سبيل، وأقصر زمن، وبطريقة مشوقة مقبولة، ووسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ذات أثر فعال وخطير حيث تنتظم عددا كبيرا من القارئين والمستمعين والمشاهدين ولا يمكن بحال من الأحوال أن نقلل من أهميتها، وأثرها وتأثيرها في المجتمع على جميع المستويات الدينية والخلقية والاجتماعية والفكرية وما الى ذلك. لذا كان من الواجب على الباحثين والدارسين أن يولوا هذا الموضوع جل اهتمامهم وأن يعطوه ما يستحق من التمحيص والتحليل والدراسة والاستنتاج.

القرآن تأثيره وآثاره

وأول الوسائل - بلا شك - لترسيخ العقيدة وتقويم السلوك وأشرفها على الاطلاق وأقواها كلام الله عز وجل (القرآن الكريم) كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وكثير هم الذين اهتدوا الى الاسلام أو تابوا واستقاموا على الجادة من المنحرفين بسماع آيات من كتاب الله الكريم كسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وغيرهما،

وخبر العيّار قاطع الطريق الذي سمع قوله تعالى : **(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ..)** فانقلب رجلا آخر وصار من أكابر المحدثين والأئمة المهديين المهتدين. كما تروي ذلك كتب السيرة والتراجم.

ولهذا كان الاهتمام الكبير بنسخ المصاحف قديما وطباعتها حديثا، والعدد الضخم الذي يطبع منها كل عام.

والملاحظ أن البث القرآني أكبر حجما، وأبعد وصولا، وأوسع نطاقا. اذ لا تكاد تخلو منه اذاعة عربية أو اسلامية. وحتى بعض الاذاعات غير الاسلامية تبدأ برامجها الموجهة بالقرآن الكريم. والحق

يقال أن بعض الاذاعات الاسلامية خصصت اذاعة كاملة لبث التلاوة المجودة وبعض البرامج المتعلقة بتفسير القرآن وعلومه، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية وهذا شيء تشكر عليه ونطلب منه المزيد. كما نشكر - أيضا - بعض المؤسسات الاعلامية الاسلامية الأخرى التي قامت بدور مماثل خدمة للقرآن الكريم وعلومه، والأحاديث النبوية أثرها في الترسيخ والتقويم واضح لا يحتاج الى بيان وكثير من الاذاعات وسواها من وسائل الاعلام التي تخصص لها بعضاً من برامجها اليومية، وكل هذا شيء مذكور مشكور.

كيفية استخدام وسائل الاعلام في تقويم المواطن

كما أن من أهم الوسائل أثرا في تقوية الايمان ومن أكبرها فعالية في ترقيق القلوب وشحذ الهمم وترسيخ العقيدة وهز القلوب وتحريكها، لتقويم السلوك وتهذيب الأخلاق عرض الصور الحية المؤثرة من حياة السلف الصالح وأئمة التقى وفرسان الدعوة.

والكتب والكتابات عن سير هؤلاء الاعلام كثيرة وافرة ولكنها تبقى في نطاق محدود، لا يكاد يخرج عن بعض المثقفين، وكثير منهم لا يفرغون أو لا يطيقون الجلوس للقراءة الفاحصة المتأنية للهضم والاستيعاب.

ولذا تأتي أهمية الوسائل الأخرى المسموعة والمرئية من اذاعة وتلفزة وذلك لما تمتاز به من سهولة ويسر في ايصال المعلومة دون مشقة، وباسلوب مشوق لا تمله النفس في هذا العصر عصر السرعة بعد أن تراخت الهمم، وفترت القوى. وقد كان سلفنا الصالح يقطعون الفيافي والقفار عشرات الليالي لتسجيل حديث أو تصحيح رواية، أو لقاء عالم للرواية عنه أو التأكد من الحديث رواية أو دراية.

ولا أريد أن أقلل من أهمية المحاضرات في السابق والحالي التي يلقيها العلماء والدعاة في الحشود والمجامع فتلين بها القلوب

وتسمو النفوس. ولكن هناك فرقا كبيرا بين المئات أو الآلاف الذين يضمهم الحشد، وبين مئات الألوف بل الملايين الذين يمكن أن يستمعوا أو يروا المحاضر نفسه خلال وسائل الاعلام سماعا أو مشاهدة من حيث الشد الى موضوع المحاضرة والتشويق اليها وقوة التأثير.

كما أن هناك فرقا بين وسائل الاعلام الحديثة نفسها اذ شتان بين ما تقتضيه الطباعة من جهد، ومال، ووقت، وما قد يقوم في طريقها من عقبات وما يرافقها من تصحيف أو تحريف وأخطاء مطبعية، وبين البث المباشر (مسموع أو مشاهد) في اليوم نفسه، بل أحيانا في الساعة نفسها. وقد يقع الحدث في أقصى الغرب، يشاهده ويسمعه من بأقصى الشرق في الوقت نفسه، بكامل تفاصيله. والتقنية الحديثة لها أثر كبير في ذلك لا ينكر ولا شك أن وسيلة الاذاعة من أرقى ما وصل اليه الفكر الانساني ولو استخدمت للخير المحض لكان لذلك أثر كبير في نشر العقيدة الاسلامية في شتى بقاع المعمورة فتصفو بها النفوس وتستقيم بها الأخلاق. وينشأ عن ذلك مجتمع كله خير وتعاون وتكاتف، تنحسر فيه الجريمة، وتنعدم فيه المفاسد ويسوده الأمن والايمان.

كما أن هناك ميزة مهمة لوسيلة الاعلام المسموعة ووسيلة الاعلام المرئية حيث يشترك في ذلك القادر على القراءة وغير القادر عليها (فعلا أو حكما) فهما أكثر جمهورا وأيسر سبيلا وليس معنى هذا التقليل من أهمية القراءة ولكن لها رجالها وفرسانها.

وخلاصة القول أن هناك زوايا أخرى للموضوع فالى جانب المزايا والمحامد المشار اليها آنفا هناك مآخذ على هذه الوسائل. وهي على هذا سلاح ذو حدين !!.

خطورة الاستخدام الخاطىء لوسائل الاعلام :

إن هذه الوسائل يمكن أن تقوم بخير كبير واسع النطاق الى حد بعيد في ترسيخ المبادىء والمثل والدعوة الى الفضيلة وفي محاربة الرذيلة وتنمية المشاعر، وتوسيع المدارك، ونشر المعارف، وتصحيح المفاهيم، بشرط تمحيص المادة وحسن الاختيار، والعرض، والوثوق بمن يسند اليه الاشراف والأداء، والاخراج. حتى يكون هناك التطابق بين القول والعمل، والقدوة الحسنة هي من جمعت بين صدق القول وحسن العمل وصفاء السريرة.

أما اذا كان في المادة المذاعة - لا قدر الله - انحراف أو زيغ أو كان في صاحبها انحراف في السلوك أو نقص في العلم أدى ذلك الى أمور لا تحمد عقباها، ولذلك أثره الكبير على الفرد والمجتمع والأمة، والعالم الاسلامي عموما في هذا أو ذاك. ولا يوجد خير محض ولا شر محض ولكن الغلبة للخير دائما إن شاء الله ولا سبيل لليأس الى قلوب المؤمنين، والقنوط ليس من سماتهم فالتناصح والنقد الهادف شيئان مطلوبان ومهمان في اصلاح المجتمعات وتهذيبها وتقويمها، ولا كمال الا لله ولا عصمة الا لمن عصمه الله.

الواجبات الملقاة على الاعلام العربي :

والمطلوب من الاعلام العربي والاسلامي بشكل عام أن يتقي الله في جمهوره وأن يقدم له ما لذ وطاب من صحيح المنقول وصريح المعقول ليكون وسيلة نافعة، وأداة موجهة الى الخير والرشاد داعية الى مكارم الأخلاق والتحلي بها، ومنفرة من سيء الأخلاق والمباديء الضالة، فما انتشرت تلك المذاهب الهدامة من شيوعية وماسونية واشتراكية ورأسمالية الا بسبب الوسائل الاعلامية المضللة، التي خدع بها عدد كبير من الناس حقبة من الزمن، وبدأ بعضهم يدرك حقيقة الأمر وكما قال الشاعر :

ولا شك أن المادة المسموعة أو المقروءة أو المشاهدة لا بد أن تكون في مستوى العرض من حيث المحتوى والهدف والعرض وادراك ما يترتب على ذلك من نتائج، مع مراعاة الجوانب الدينية والعقلية، والثقافية، والاجتماعية لمن تبث اليهم تلك البرامج على أن تؤخذ بعين الاعتبار فترة العرض، والبث، والجدول الزمني لتلك البرامج مع درء التعارض فيما بينها حتى يتم التناسب في اعدادها وتتالى فقراتها. مع مراعاة المحافظة على الضرورات الخمس المعروفة فقد جاء ديننا بالمبدأ المعروف (لا ضرر ولا ضرار). ومع الاعتناء الجيد بالمسلسلات واللقاءات، وبقية البرامج بحيث تكون منطلقة من عقيدتنا الاسلامية السمحة، وموافقة لأهدافها ومحققة لمقاصدها، غير متنافية مع الأخلاق الحميدة، والمبادىء السامية، التي دعا اليها رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

إن المهم في هذا كله هو رضا الله أولا وقبل كل شيء ثم كسب رضا المشاهد المسلم بما لا يتنافى مع عقيدته ومثله وأخلاقياته.

فاذا تحقق ذلك أصبحت وسائل الاعلام في البلاد العربية والاسلامية جديرة بالاحترام والتكريم، وأدت بذلك رسالة وواجبا من أعظم الواجبات. إن واجب الاعلام الاسلامي كما يصوره د. محمد ابراهيم نصر في كتابه **الاعلام وأثره في نشر القيم الاسلامية وحمايتها** يتلخص فيما يلي :

١ - تضافر القوى والجهود لانشاء مؤسسات صحفية اسلامية تستكمل عدتها الفنية والعلمية.

٢ - مراعاة الفروق في المستويات فيخاطب الشباب بلغته والطفل بلغته وبما يفهمه،والكبير بما يناسبه ... وهكذا.

٣ - العناية بالاخراج الفني المباح، بحيث يجمع بجانب حسن الأسلوب قوة العرض وجمال الاخراج.

٤ - التبصير بالغزو الفكري الذي يهاجم عقائدنا، وينساب في أفكار شبابنا، ويبلبل عقائدنا، ويشوه فكرنا الاسلامي الأصيل، فالمبشرون والصليبيون عندما عجزوا عن محاربة الاسلام والقضاء عليه بوسائلهم العسكرية، حاولوا أن يقضوا عليه بالغزو الفكري فأنشأوا المدارس والمعاهد والجامعات، في كثير من البلاد الاسلامية واندسوا الى وسائل الاعلام فروجوا الآراء والأفكار والعادات والتقاليد التي تعارض مبادىء الاسلام وتقاليده، وكلنا يعرف سيطرة الصهيونية على كثير من وسائل الاعلام في الغرب والشرق. وهذا من أكبر مخططاتهم للقضاء على الأديان الأخلاق النبيلة.

وقد شاعت لدى الشباب في بعض البلاد العربية والاسلامية أفكار مادية جعلته يقيم للمادة الاعتبار الأول في تفكيره، وفي سلوكه، بينما أصبحت عباداته وسلوكياته الاسلامية شكلا لا روح فيه، وزبدا جفاء لا فائدة منه.

٥ - التبصير بالتسلل الماسوني الذي هو من صنع اليهود وهي فكرة في جملتها تدعو الى تحلل الناس من قيمهم ومبادئهم ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب. وقد أحاطها اليهود بالغموض حتى تستهوي الناس الى اعتناقها وتحببهم في الكشف عن أسرارها. وما الشيوعية والوجودية وما شابههما الا نتاج وثمرة من ثمار هذه الماسونية الخطيرة.

٦ - الحوار مع الشباب، ومناقشة مشكلاتهم ومساعدتهم الدائمة للخروج من الأزمات الفكرية .... وتوجيههم الوجهة الاسلامية الصحيحة، لأن الشباب هو الحلقة الذهبية من العمر، وهو من القوة والفتوة، ومرحلة الاقدام التي لا تعرف الخوف، والحماسة التي تعلو على التردد. إن أحسن توجيهه كان قوة بانية، وان أهمل كان قوة مدمرة. ولذا كان الشباب الذي يعلو على غرائز الدنيا، وينشأ على طاعة الله من أوائل الذين يظلهم الله بظله يوم

لا ظل الا ظله كما جاء في الحديث الشريف ... (وشاب نشأ في طاعة الله ....).

والمعروف أن العدو يركز أكثر ما يركز على شباب الأمة حتى يحطم ثقة الشباب بنفسه، ويشككه في دينه ومثله، فكثير من الشباب في بداية نضجهم العقلي يقعون فريسة لهذا المخطط الرهيب ... ويواصل الدكتور نصر ايضاح ذلك بقوله.

«وكثيرا ما يرتمي هذا الشباب في أحصان المحركين لهذا المخطط وبخاصة شبابنا الذين يدفع بهم الى أوروبا وأمريكا أو غيرهما من البلدان الأخرى فسرعان ما يعود هؤلاء وقد تحللوا من قيمهم ومبادئهم واستبدت بهم أفكار ومبادىء لا تمت الى الاسلام بصلة.

٧ - إبراز الشعار الاسلامي واضحا انطلاقا من قوله تعالى **(إن هذه أمتكم آمة واحدة وأنا ربكم)** (الأنبياء ٩٢).

٨ - الدعوة الى تضامن العالم الاسلامي، وربطه بتراثه الاسلامي العظيم، وشرح ما يترتب على ذلك من قوة مادية ومعنوية وسياسية.

٩ - إيجاد بدائل لتلك المغريات التي تفتن الشباب وتلهيه، وتوقعه في حبائل الشيطان ببدائل إسلامية تعلو بالغرائز وتتفق مع منطق العقيدة الاسلامية، لتهذيب الأخلاق وتقويمها.

١٠ - مناقشة المفتريات والدعاوى الباطلة التي يروجها المستشرقون وأعداء الاسلام لطمس معالم التاريخ الاسلامي الناصعة، وبيان الحقيقة بأسلوب علمي هادىء ومناقشة مدعومة بالحجة والبرهان.

هذا عرض عام لما ذكره صاحب الاعلام وأثره في نشر القيم الاسلامية وحمايتها.

أهمية دراسة وتدريس وسائل الاعلام :

ومن هذا المنطلق بدأت الجامعات السعودية وبقية الجامعات العربية والاسلامية الأخرى تفكر جديا في تأسيس أقسام للاعلام. وقد قامت جامعة أم القرى بانشاء قسم للاعلام ووضعت له منهجا، نرجو أن يكون جديدا يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويهتم بتخريج الشاب الاعلامي المسلم، الذي يوثق بدينه وأمانته وعلمه ليقوم بهذا الدور الاعلامي المهم الذي نرجو له التوفيق والسداد والنجاح.

ولا ننكر الدور الذي تقوم به بعض الوسائل الاعلامية في البلاد الاسلامية في الوقت الحاضر. ولكننا نريد منها بشكل عام ألا تكون مؤسسات تجارية أكثر منها صاحبة مبدأ ورسالة وهدف سام، نريد منها أن تكون على مستوى الكفاية وعلى مستوى المسؤولية، نريد منها الاهتمام باختيار العناصر الأكفاء التي تتعاون معها وتشرف على الاعداد والأداء والاخراج. نريد من وسائل الاعلام العربية والاسلامية أن تركز على البرامج الاسلامية والثقافية والفكرية النافعة والمفيدة وأن تبتعد عن الغث، وتقدم السمين لأن من تصل اليهم تلك المواد الاعلامية المقدمة سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مشاهدة يتشربون تلك المواد بطريقة شعورية أو لا شعورية وتختزنها أحاسيسهم فتنعكس فيما بعد عقيدة وشريعة وأخلاقا وسلوكا. إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

وهذا شيء واضح مشاهد. ومن هنا تأتي الأهمية والخطورة ونكرر ونقول أن وسائل الاعلام سلاح ذو حدين ... فليست شرا محضا ولا خيرا محضا. ولكن ... هي لما استعملت له، وأملنا في وسائل اعلامنا في وطننا العربي كبير، وفي وطننا الاسلامي أكبر. والسعيد من وعظ بغيره. ولا يزال الخير في هذه الأمة الى أن تقوم الساعة.